

جميل مفرّح

إنه... المكلومة نشوته

فصول لن تنتهي من سيرة الفتى العجوز

شعر



2023/08/11

إصدارات وزارة الثقافة والسياحة - صنعاء



جميل مفرح

إنه المكلوم نشوته..

فصول لن تنتهي من سيرة الفتى العجوز

شعر

سيرة التهويم والرحيل

كالمسافر كنتُ...،
وكنْتُ الرحيلَ...،
وكنْتُ الطريقَ الذي شقَّني
كم شقينَا ثلاثتنا من ثلاثتنا...،

سارية الطين

على كتف البرق كنتَ تجيءُ نبياً صبيّاً
رسالته خضرة البسمات..
أنامت بك الحاضنات قصياً فطالت
وتائن ما بين أحلامنا؟
ليس إلا تنكّر صنعاء يقلق صحبتنا
نائماً فوق ريش تبخرها..
العجوزُ الطرية لمستها شبقَ حاضراً...،
وجهها الخزفيُّ يشابقنا بين حينٍ وآخرَ
فارسٌ عليه دبيبَ الشفاهِ القديمِ
دبيبَ علاقتنا قبل عامِ المنى
حين كنا وصاحبنا "الجهديُّ" *نمارس
نشوتنا الموسمية..
هل منعت عنك أمك رفقتنا؟
اشتاقت الأمهات جميعاً إلى عطفها الأزلي
وأتعبنا التوق للقفز والانشاح
بسارية الطين..
غبت طويلاً فلم تحتملنا ملابسنا

دون أن تتلوّى على جوعها..
كنتَ عودتها قبل عام المنى
أن تدغدغ بهجتنا عبرها..

فتساقطُ... ، ... ،

ولو في عيونِ زجاجيةٍ
لن نمانع أن نتقلَّدها لؤلؤاً
أو نعطرَ منها الثياب التي اتَّسعت
علَّها تتناسى روائحَ
أكبادنا المحرقة.

الغريب يُنِيحُ مشقَاتِهِ

غازلتني هواجسها فانتبهت...،
وقفتُ كساريةٍ لا يرفرفها أيُّ معنى..
انتصبتُ انتصاب أبي قبل عشرين عاماً
لتفتح صنعاؤ صندوق أسرارها..
ما آمال أبي غير سرِّ تبسُّمها
كان أنضج من صبره
حين عاد بلا نصفه
حاملاً في جراب الهدايا مواجهةً
ووصايا أبٍ كان مستعجلاً..

كان أصغر مني ...أبي
لم أرث منه شيئاً سوى أن لا
نصف للانحناء..
افترشتُ اتِّقاداته وانتمالات توقي
على ثلج صندوقها
فأطلتُ المكوث..
استعدتُ ارتعاشي على وترٍ تالفٍ
جمدته السنون لمعنى تبسُّمها

حين قال لها:

أفصحي...، فالغريب

ينيخُ مشقاتِهِ عند باب الوصول..

تندّمتُ.. لا نصف للانحناءِ
فألثمتُ عشقَ أبي ووصولي إلى قلبها..
وبلغتُ بروحي محاريبها
فاكتشفتُ بأبي
سبقتُ خطاي إلى حضنها
قبل عشرين قافلةٍ
ووجدتُ دمي كان منحنيّاً
فتماوجَ نصفِي كساريةٍ
باغتتها رياحُ المُنَى وانحنيتُ.

في يد الله

قلتُ: السلام، فلم تجبني..
في يدي مفتاحها،
لكنَّ أُمِّي علَّمتنا- عندما كنا صغاراً-
أن نسلِّم أو ندق الباب..
هذا الباب ليس كباب ألفتنا،
وهذه الأنثى المعتَّقة التباهي، سيَّجوها
بعد أن حلَّوا ضفائرها التي درَّى الزمان،
فضيَّعت عَنِّي ملامحها..

أنا المركون في أحلامه.. الموعود
عمرًا من طفولاتي
أفتِّش عن قصائدها وعن شعرائها الأمراء،
عامَّ كاملٍ
وأنا أصوِّرها بجدران "التواتر*"
صبوةً وخزت بوارقها
خيالاتي الشقية..
كنتُ أرسمها وأكثر من مآذنها
فأذهب للصلاة على تذكُّرها

وَأَدْعُو اللَّهَ:
بَارِكْنِي بِرُوحَتِهَا..

وقفتُ على مخافاتي ثقيلًا كالسراةِ
صبيتُ صوتَ تولُّهي فيها:
السلاااام... ، ... ،
... فلم تجبني
عدتُ أدراجي...، تضحُّ خطاي
أوردةُ الهزيمة..
أصبحتُ طرقي مفاتيحاً لأوباتي،
نقرتُ على جبين الليلِ مراتٍ
لئُنهي عمره طفلاً،
نثرتُ على بصيصِ الفرصة الأولى رمادي،

فِي نَقَاوَتِهِ سَكَبْتُ دَمَ التَّلْعُمِ وَالْهَزِيمَةَ بَارِداً
أَنْبَتُ هَاجِسَهُ: أَعْدُ لِي مَا تَبَقَّى
مِنْ حَقُوقِي فِي الْبُكَاءِ.

على اكتواء المخدع الأعلى
أحسن فراشُ أُمي بالدموع..
توضّأت سرّاً وصلتُ..

لا يزال الفجرُ مستمعاً،
وحمى الليل تسردني عليه حكايةً مكرورةً.

يا ألف ليلة
إنَّ صباحاً واحداً يكفي
لنقترب الصلاةً من الروى
يا ألف لي... ..
أُمي تصلي والصلاة بعيدةً..
كانت تطيل ركوعها وسجودها
فيشبُّ حدسُ الطفل في..
لعلها كانت تحدّث ربّها عنّي
وعن أحلامها الملقاة فوق طفولتي...،
أقصى التهامسُ كلّ شيءٍ فيّ
غير عيون قلبي.

بدّلت ثوبي...
لتهمس: إن قلبك لا تحبّه المدينة..
ناولتني صرّة الثوب الذي
كانت تحرّمه عليّ وأطرقت
لتلاوة استغفارها..

كانت تهددني بعض يدي
وبالساري "عدير الدار*"
لو مسّت خرافاتي وأحلامي المحرّم
في سلاتنا البسيطة..
ألبستني الثوب بعد صلاتها
أخفيتُ عن فمها يدي...،
في صدرها واريثُ وجهي عن عدير الدار..

نمتُ للحظة
فإذا بدفء الصدر يحضنني
جنيناً من جديد...،
عضّني هوس الرحيل تألمت أُمي
المخاض يقدّها
ويعيد فيّ الرغبة الأولى لميلادي
انفصلنا...، والدموع تزفّ بسمتها الخفيفة
والخفاء على تحيرها
يفتّش عن عبارتها الثقيلة:
" في يد الله."

المدينة لم تزل مشغولةً عني،

وقد زادت ملامحها ضياعاً..
لم تُعرني لحظةً وأنا أمرُّ..
أصابني انشغلت بثوبي.. لم أُسلم
أو أدق الباب لكني دلفت فلم أجد
في قلبها العاري
لكلِّ الواهمين على غراري أيَّ خبزٍ..
لم يكن عرف الأساطير الذي أدمنته
إلا ذيولاً من دخان الوافدين
المسرعين إلى حصاد الحلم قبلي
بعد أن كتبوا مراثيهم
على قبر البسطة.

نيئةً إلا من الياجورِ
ما أبقى التحضُّر منه أو صوتِ المؤذنِ..
لم يعد فيها دقيقٌ ليس غير
ملوحة الإسمنت تطلق ساقها للريح...،
جئت وخبزها وجه العباصر والرخام..
تكسرت أسنان حلمي عند أول قضةٍ فبكى
بكيئ...، وقد تبدت لي خطوطٌ من
ملاحمها الجديدة...،

عانقتني ثم... ،... ،...
عاد يعصُّني هوسُ الرحيل.

خطايا مُبرأة

يا لوطاة إطراقها!!...
حين نمرق من حولها... الأمنيات
فتغض عيناً وتفقاً أخرى
كأننا هواءً طفيفاً
يمرُّ على حجرٍ عالٍ في الفضاء..
مكتنا طويلاً نقول الأمانى ونتقنها
فكبرنا وشبنا... ،
ولم تتحرك أعمارها قيد أنملة..
كم أنرنا كهولتها بطفولتنا
وأثارت كهولتنا بأنوثتها..
الأمنيات خطايا مبرأة
من لباس الخطيئة
والناشبون بأسمالها
نطفة من فناء.

ساعة الرمل

شاح قلبُ الصبيِّ
تحاشى بأنقاله مهرجان الطفولةِ
سخرَ في قدميه الحفَاءَ ليمشي الطريقُ
فتدركه الذائقة..
كان في مستهلّ الطريق سديماً ملولاً
وكانت صلاة التقربِ تعويذةً
لا تحرّكه حيث شاء..
مضى يتسوّلُ عمراً يساوي امتداد الطريقِ
ليبقى يسايره دون رائحةٍ أو مذاق..
ظلّ يمشي...، ويعدو...،
ولا شيء يدركه أو يُحاذي تذبذبه
غير خيط الرصيفِ يدور كمسبحة الوقتِ
لوناً بلون...، ولا شيء من خلفه غير
بضع وعشرين فاتنةً عانسة..

ليس دون السوار الثمينِ
المطوق أحلام عينيه
إلا التمني
ك.... ليت الزمان يسير الهوينا

وليت المكان يبذل مهنته..
ثمَّ عشَّ من الطين
لم تتذوّق أبوابه طرقات الأمانى..
على سطحه امرأةٌ حسبت عمرها مرّتين
فكرت عليها تجاعيدها..
الشروق غدّ... والغروب غدّ...،
والمسافةُ بينهما
عمرٌ كاملٌ للشقاء المُسنّ..
يمرّان بعضهما ضعف بعضهما
والمسافات جاثمةٌ
لم يزل رسنها عالقاً في جدار الكهولة..
كان يقتاده عرْفُ زيتونةٍ
أمنّته...، فخاف
تغازله...، ...،
والمناقير من حوله كدروع السلاطين
تغمزها في حياء الأوانس:
لا تربكيه..

قال يوماً...، ورائحة التَّعبِ المُتصيّب منه
تطوّحه في فضاءٍ عميقٍ:

ألا ليت لي سرج مستفعلن أو لجام فعولن
فيعدو لساني ويصهل..
تحرّش بالنهدات العميقات داخله
ثم غنّى تواشيحه
ومربع أشجانه لا زوايا تقيه:
الزمان الذي طار أمطرني
بغبار المواعيد
فاختنقت شهقات رناتي... ،
المكان كما كان ... يرعى
قطيع السنين ويطعمها لتشبّ سريعاً...،
وعيناي في القفص الذهبي
كعصفورتين مُدلتين
تُزيّن لحظهما رمقات الطموح
بنصف سماء...،
ويُطرب نوحهما ملأ الانتظار..
كنتُ ساعة رملٍ بكفّ الـ"متى"

والمتى عابثٌ
كلما قلبتني يداه ابتدأتُ فلا أنتهي..
كالمسافر كنتُ...،

وكنْتُ الرّحيلَ...،
وكنْتُ الطّريقَ الذي شقَّني
كم شقينا ثلاثتنا من ثلاثتنا...،
قالها، وأصابع عينيه توقظ أضلاعه،
ونقاوة تلميحہ تعلن الشّعَر
مُفتتحاً للرؤى الغائراتِ
وخاتمةً تضفر الصمتَ والبوحَ
في خصلةٍ...،
تتربّى مع الرّيح أحلامها.

يتيمان من كلّ شيءٍ عدا بعضنا
يا وصايا المسافرين...،
لا تأبهي لاعتذار السكوتِ العقيمِ
ولا تسمحِي لسكاكينه
أن تمرَّ
فتلحق ما بيننا.

سيرة التكوين

أصابع الرغبة

هزّت وتيناً كان يربطني بها
لتعيد سالف صبوتي لجديدها الرغبان..
أدمت بارتعاشتها ركودي

حين قالت : هيت...

ناولني رفوفك من جديد كي أرتبها
وأمسح عنك أتربة التقاعس..
كنتَ تسكنني وأسكن فيك..

رائحتي سكوتك...

وانثيالي في التصعد حين تحملني
وجوه الصامتين القائلين.

فضم صدري كي تُخبرني ضلوعك...،
أين كنتَ؟! من احتوت غيري؟!

تأهّب للدخول إليّ...

يدا ابتدائك تطويانك مثل ذاكرة المسنّ
وتغسلان مسافة الرؤيا التي أخذتك..

تختصران قامات الترقّب،

تغويان مدى اغترابك...

والقرايين الحرام تسنّ دهشتها

لعصيان الرجوع.

تحدّثت عني الأليفة...
عن منى ألفي الوحيد ورجفِ
يأءاتي العديدة...،
رَوَّضْتُ ثعبانَ إنصاتي فسالَ إلى السماءِ
وأسكتُ شللَ الحنينِ إلى مطائبها...،
وقد شقَّت مسافات الغزوف..
بقيظها هدهدت زارَ الخوفِ
فانحسر التردُّدُ عن فمي..
قشَّرتُ ذاكرتي وعدتُ أجرَّ أمساً
كاد يلوي قامتي لمقاصِل الذكرى..
تداركتُ الهواجسَ في طفولتها،
عضضتُ على التسرُّع حين فاجأني كعادته
تباكى...، أن...، تمتَمَ....،
غاب في عينيه حين قضمْتُ رعشته..
وعاد بلا يدٍ كانت...،
إذا لمست فمي...، فرَّت تُغطيني
وتحجب عن عيوني- رغم كثرتها-
اتِّساعاتي التي حفرت بدايتها أصابع رغبتي..
قلَّمت أسبابي جميعاً دون صاحبتني

همستُ لثوبي البالي: تمزّق...،
إنني طهرتُ حاجاتِ الطوافِ
مناسكي تمّت وأخرها...،
التأهّب للولوج إلى حياةٍ
كلّما شاخت تجدد سحرها.

العنكبوت

الشبيه بنفسه ثملٌ بعودته
يفتّشُ في نفايات التذكّر
عن روائحه القديمة،
عن غيابٍ قد يشجُّ فتوره المملول..
ما أنقاه حين يسيل
من شفتي مساءٍ كالسماء...،
إذا تمنّى أو تعنّى أشعلت بعضاً ستائره...،
فوارى الملح في آباط جفنيه..
النوافذ والستائر... والخطيئة.....،
مهرجانٌ كالدخانِ تعوم في رنتيه
حتى يستريح سعاله في الحبر.

يا للحبر...،
يا للدهشة الكبرى...، ويا للبرزخ
المدلوق ما بين الشبيه ونفسه!!
يدنو فتبصقُ كلُّ نافذةٍ
على لمعان هجعتة حصاةً
من شظايا القول...، ملمسها حريقٌ

والتغافل عن تلقُّفها موات..
زاد ما مادت به فانشجَّ مضطربين.

لا شيء.....

أنثى العنكبوت تكوّرت أحشاؤها
أسفاً وحزناً لم تُحدّد نسلها

تبكي كثيراً، والتراب - ببطنها المطّاط-
للميلاد يشعل كلّ يوم شمعةً،
ويضخُّ سكرته احتفاءً بالتراكم..
لا يفكر في الكهولة
كيف يأكل جمرها الغافي
ذوَابَاتِ السنينِ بلا رقيبٍ...، ...،
ثمَّ يُسكته بأحلام الكسيح المُنتهي..

شاخ الشبيهه بنفسه طفلاً
لإرضاء التوجُّسِ،
كان أحرى أن ينيم الهامش الممتدَّ
من إسرافه...،

لا أن يظلّ يناجي الأهواءَ
فاغرةً كأفواه الجياع المُصحرين.

الغيمة السوداء تُمطرُ
والقصائد، شأوها يقعي ويربضُ..
كلّما آذى تذوّقها الدخانُ تساءلت...،
قالت تُناجي جمرَها:
يا رب أطعمني...،
مللتُ رعونة الساقى وثلج مفاصلي
خذني...،
تجمّد في كؤوسك كاهلي...، ...،
ترغي...، وتزبد...،
ثم يسكتها تنفّسها الجريءُ
يمدُّ خطوته ويزدردُ الطريقَ الحار.

الفناجين

ساومتُ خاصرة التشهّي للعبارة
راقصتني كالغريب...،
ثقبتُ ناظرةً بقلبي للتحاور:
-كيف عُدتَ؟!
-دخلتُ باسم الله
طهرني... فقد بصق التريّب
فوق ألفتنا أذاه..
دخلتَ باسم الله...، باسم الله تمكّنتُ
ثم باسم الله تخرج..
دُر على أطراف مائدة الكلام
فإنّ مركزها سحيق...،
والأباريق المليئة بالندامي
لا يروق لها هذوؤك..
إنّهم يتكسّرون ترقّباً لتقول..
فاستبدل مقامك قبل أن يغدو لسانك
آلةً تلهو بها حاجاتهم
ويصير عرشك حانةً للقول..

كم قالوا: (على الدنيا السلام)
وأنت تُطعمهم مصيرك
لا تغار عليه من شظف الفراغ
كما تغار على سماعك وامتداحك
والركون إليك..
من لغة الفناجين الرشيقة.. جئتَ
لَمَّا كُنْتَ سَكَّرَهَا
فأسكركَ التسهُبُ...،
عُدْ كما صَبَّكَ قَافِيَةُ التَّهَجُّدِ
ساخناً
برد الكلام فأعطب الرؤيا..

سَمُّ المَقَائِلِ

العبارة تلكنني في دمي يا سياج الفراغ...،
انحناؤك شكّ فعزّبي
والغريب فمّ لا يقول..
السماءُ وقد لامستك تؤدي إليك
وكلّ المسافات تشخص أنت نهايتها..
حاصرتني عيونك..
ليس سوى رعشات القصيدة
في داخلي حرّة..

يا أيادي الفتور التصافي بنفسي
يؤنّبني حين أنسى
وصنعاء واقفة من ورائك
تنثر فتنتها دفقة...، دفقة...،
والمصير القديم
يحاولُ تبييض أوراقه الداكنات..

العبارة تلدغني بالتقرّب منّي
لأسعدها بالسكوت الثمين

وسمُّ المِقايلِ يَدفُنني
حين يَضفي سَليمان ساعاته..
والمِجالِسُ...،
قد أدمنتني بخوراً مع الماءِ
لكنها...، ...، غرّبتني مِباخرها
فتفجّرَ صدرُ الفراغِ بِكمّي..

يَتيمان من كلِّ شيءٍ عدا بعضنا
يا وصايا المِسافرِ...،
لا تَأبِهي لاعتذارِ السكوتِ العقيمِ
ولا تسمحي لسكاكينه
أن تمرَّ
فتلُغ ما بيننا.

من جيبهِ المِستورِ في أعماقهم
جاؤا بِرائحةِ التُّقَابِ
وأشعلوا طَرَفَ الغِطاءاتِ/
الخِواءِ ليدفئوه
وغادروا..

سيرة النار

تفصلنا القَبِينَةُ .. يجمعنا الماء

كالعادة...، نحسبُ أنا منفردانِ
وأنَّ جفون الردهة تكتُم خلستنا
ندفع بقشيشاً للنادلِ
كي تطفئ بسمته الموقوتة رجفتنا
وليغفينا من كلمات الترحيبِ
المفتعلات...،
ومن عينيه يباغتنا بشرارهما الواشي..
فليأخذ ما شاء لما شاء
ويتركني الآنَ
أصب دمي حبراً من ثلجٍ
ودموع المفقودة شعراً من جمرٍ
وجفون الردهة ميقاتاً
أشبه بالهذيان المقصود..

كالعادة...، نتقاسمُ ذنب الأشياءِ
الموودة بين فمينا...،
تركض أعيننا،
تنسابقُ صوب فتيل الذكرى..
نتنبّه أنا نخبو في قَبِينة ماءٍ

تتوسَّطُ جلستنا المحروقة..

نطفو...، فنسيل على قمها

لِيُرْطَبَ كُلُّ مَنْ

طين الكلمات على شفثيه..

...، ..، .، ابتلعنا

..، القَتِينَةُ،

.، ثَانِيَةً،

فتوارينا في رائحة الماءِ

وعدنا للحجرة/ ثلاجتنا الأولى

نتفقُّ جزء الوقت المتبرئ مَنْ

...، ...،

...، وتعاتبنا..

ما أبشع رائحة الموتى

ما أسرع ما شاب البرد وخانته الشيوخوخة..

أنكرَ كيف تسلى بزجاج النافذة

المهزوزِ

وأنفاس الأغطية المجبولةِ

حين اتَّخذت مَنْ رَتَّين..

لحظاتٍ تمضي كالبرقِ المتواني

تقدحُ فينا التعبَ المحتومَ

فنهوي...،

نوشكُ أن نفقأ إبهام الوقعة..

حين يباغتنا لهبُ الاستسلام...،

نحاول أن يُشعل فينا

لغةً أخرى

نطمُرُ في هيئتها الإرباكَ

فنجتاز طواحين الذكرى..

نتحدّثُ .. ، ...،

لكن نُقلُتْ مِنّا الكلمات...، نلاحقها

...، يلهثُ فينا الضعفُ المعهودُ فيدركنا..

نترضى حسرتهُ بالعودةِ فوراً

نتباعدُ عنّا...،

...، نخرجُ من قَتِينتنا

لنعودَ كما كُنّا غرباء..

وأخيراً...،

نتحدّثُ عن صنف سجانرنا،

عن صندوق الأدوية المتأهّبِ

حين نعودُ وقد...
شجَّ الموعدُ وجهَ تذكُّرنا..
نتحدَّثُ عن حال الشعرِ ولا نغنيه
...، عن الشعراءِ
...، ...، عن الأمراءِ
...، ...، عن الفقراءِ
عن الغرباءِ المُتَكئينِ
على رغبتنا
بسكاكينِ شراستهم.

و...تصمت الحركات

مراياك المموجة الطقوس

تدور حولي...،

تستدير على مناماتي

فتكسر برد ذاكرتي بجمرك

واحترقاتي بثلجك..

طيفك يكنس النسيان من ليالي

وهمسك يستعير فمي ونبضي

واعترائي فيك..

يسرقني اقترابك من فصولي

ثم لا يبقى سوى اسمي...،

عارياً مما تدلُّ عليه

أربعة الفتى المفتون..

في رنة العبارة

كنت تنتظرين خوفي...

أن يمس القلب جوعاً قادم..

...، ...، والآن

كلَّ عشية تتسللين على ضجيجك

في دمي..

تتغنّدين وتُزهرين بداخلي
فتفوح منك شقاوةُ العشق الذي
أشتمُّ رائحتي البريئة في مخالبه...،
فأملُ

لو تصير ظهيرتي غمداً
لمرّات المساء وللتكسر..

يا قصائدها...

إذا ما زلتِ تغتسلين في جوفي
فهزّيني... ، أساقطُ ذكرياتي
من قنانيك المضيئة داخلي...،
فأكون.. كوني...،
يا قصائدها... ..

وتخبو في عروقي
نوتة اللحظات والحركات..

تُسقطني رياحك...،
كلّما روّضتُ فيها القربَ
جرّرتني إلى الغيبات...، لفتّني
بأعطاف الغبار،
أدسُّ فيه فمي ونبضي

وارتباك تساولي.

نُرهق مرآتها

لصباح تهجّى تذمره
في عيون الملاذ الطويل إليه...،

لكافورة طمأنتنا بتربيتها
فأطلنا الوقوفَ إلى فيها...
نستظلُّ بنا...،

لُعْكَازَتَيْنِ
تنامان خلفَ الزجاجِ الملَوّنِ
من حولنا...
تحلمان بأقدام أحلامنا
المُسَرَّعات...،

لفارغتين
تركناهما قبل أن تفرغا،
قبل جزءٍ من الخوفِ
حين صلاة المسافرين تلزمنا...
فنسبنا...

وآدم ينسى...

لسمراء...

كانت تُراقبنا من بعيدٍ
فترهق مراتها بالدعاء... لنا...
أو علينا...

لتنهيدةٍ في اهتزاز السياج
تُحذِرنا من غبار القدوم،
تُعَلِّمنا كيف ننسى
ونُطلقنا من تراكمها... علَّنا لا نعود...

لرقّة رمشٍ تُمازح إطراقنا كي نفيقَ
فنخجل من أنّنا
عائدان إلى أصلنا...

لوهمين ... ،

لم يعرفا من يكونان بعدُ:
أنا... والتي واقفتني وقوفَ الزمانِ
الذي كان يحضرنا...

فيموت...،

لمن من أولئك
حين يُحاسبنا قَدَرُ الشعرِ
نزعم أنا...،
ارتكبنا التلصُّصَ في مُلكه
لاجتراح قصيدة...؟

جسدان

نمرُّ على هاجس الرغبات...، ونطربُ
كان الرعاةُ يولُّون شطرَ المغيبِ
وقطعاننا لا تودُّ الحراكَ..

نحرنَا بسبيل الجفونِ
جميعَ الطيورِ التي شاغلتنا
ففرَّ النعيبُ.. قليلاً...، وعادَ..
وضعنا له في فم الحين سماً
فهاج ملياً...،

زرعنا على هامتنا مزيداً من الريشِ،
رفرفَ هاجسُنا وانتشى...،
ثم عدنا نولولُ،
نرقص وسطَ لفيف الأفاعي
على لهيبين مهيبين..

كان الثقاب المعمرَ يلتفُّ من حولنا
ويُمني الجياعَ العراةَ بغفوتنا
فانحنينا نهيل عليه تقلُّبنا..
أسقط الليل من زهرنا ما استطاع الصقيعُ
ارتدينا دماء الخديعة...،

أَدَّتْ بنا فوهةُ الاحتضارِ إلى نارنا
جثتينِ محنَّطتينِ ... ، ... ، ...
أَفَقْنَا أخيراً...
أَقَمْنَا انحناءَ أنيقاً على الرغباتِ...
تركنا الممرَّاتِ عامرةً خلفنا بالحضورِ
انتقاماً لأحفادِ أحفادنا
الذين سيأتون بعد قليل..
نهضنا.. تَخَطَّطَ أظفارُنا جسدنا
كأنَّا نُرتِّبُ صدفتنا لانبعاثِ جديدٍ،
نُكَلِّلُ نشوتنا بسمومِ العيونِ المريبةِ..
نرسو ونطفو على الماءِ...
نملأُ بالشهقاتِ ضروعَ المواشي
ونصطاد بالسكناتِ رؤوسَ الجيادِ
التي حملتنا إلى بعضنا.

توقد هرولتي

للنافذة المثلومة ميقاتٌ
، ... حين تصفّر...،
أشهى من ميعادٍ منظوم..
يدهشني فمها اللائم حين يُرتبني..
لأصابعها لغةُ العجرياتِ
اللائي أدركن أخيراً
طعمَ الطينِ الناصج..
ترعش ليلي حتى تدمع عيناها،
تجهش...، تهمس...،
تدهس نشوئها ما خلّفتُ ورائي
من أشباه قصائد..

حين تعضُّ...،
تعضُّ ذوائبَ إطراقي
فأفرُّ إليها..
حين تهزول...،
تطحن أكداًسَ سكوني...،
تسحب من خلفي جدرانَ الليلِ بساقيها..

حين تُراهنُ... ،
توقد هرولتي في عينيها...،
يا عينيها... ،
من يفصل عن مائكما رائحتي؟
من يتصيّد في كلّ ضجيج الفجأة أجزائي...؟
من يتعقّب في وجهي كسر الليل
ويقذف في وجه القمر الواشي
أشلاء نميمته؟
من يجرؤ أن يرجع للنافذة المثلومة
طين العجريات
فيرجع لي من سفري
تعبي المزعوم؟؟

البرتقال

شقاوتها والصبح...،
ورائحتي حين أصحو...،
أرتب ما خلف الجوع...
أسطورة
لم تقل شهرزاد نهايتها
لينام الأمير..
غمست نواياي في طهرها
فوجدت الذنوب البرينة
عائدة تتلمسني...

كيف ألحق سكرها
والترقب يذني دبائره من فمي؟!
إنه الوجد... شيخ يئن
فيشعل رأسي وروحي وذاكرتي..
كيف أدنو... فأقصيه؟!!

استوى البرتقال...،
وناولني صدفة

لا عيون تحاصر لذتها كالوعد..
استوى البرتقالُ
فقتّرني... ذات صبحٍ يتيم الحنينِ
لأرجع... عاماً...، فعاماً...،
إلى المستهلّ..
تذوّقني... ،
فأضاع مواسمه في عروقي..

ألا ليت صنعاءَ
قلبٌ فسيحٌ من الطينِ
والأمنياتِ الكواعبِ...،
ليت بساتينها تعشقُ البرتقالَ
فتمنحني بعضَ عشقي
لها ولأطوارها حين ترجي
أنوثتها الساحرة.

بتحية عينيك

حين أحرّك غصنَ القصيدةِ في شجري
تهطلين رهاماً على شفتي
فأغفو....،

وتستيقظين على ظمأي
تنثرين محارك بين يدي،
تعدّين كوم النجوم
فلا تجدين مكاناً لبرجي
غير حضورك..

هاتي حجارتك الآن
أقرأ فيها حكايات عينيك عند غيابي
وأسمع منها هدير ارتباكك
حين تدوّقت مُفتتحي

ولمست ارتعاشك
أو حينما لمستك الحروف الأخيرة مني
وطرت على ورق الاشتهااء إلي..
حجارتك الآن

جمراً بلون انجذابي إليك...،
وكفّاك موجان من زئبقٍ يمتطي
اللحظة المشتهاة...،

... ، ... ، فيعقلها..

استريح قليلاً...،
خذي نفساً وأنخي تنهد عينيك
في حدقاتي..
طوفي حواليك...،
...، ...، لا شيء غيرك
واللحظات اللأنيقة...،
هزّي حلاوة قربك
بالانتماء إلى قمرات القصيدة
أنبت وسط انهمارك
... ، كالجنار
تسقينه بتحية عينيك كل صباح
فتستعبدن قبائله...،
ليضيء خرافة ليلك بالذكريات
التي كالأساطير...،
تنغمسين ببهجتها... وتدورين فيها،
وترتقبين على طرف الليل...
-خذّاك ملتحفان بكفك
والأمنيات براقك-

يوماً جديداً...، قصائد أخرى...،
رحيلاً ألدَّ إليَّ وإياك مُرتبكين
ومرتجفين وقوفاً
على طلل اللحظات.

معراج

زغبُ التصعُّدِ
لا يروق له ابتهاجُ الريحِ
حين تمرُّ دافنةً الهدوءِ..
وراء بهجتها لسانٌ حارقٌ كالبرقِ
من لهبِ القنوطِ..
عليك يا ريش التلقت أن تحطَّ
غدا المُحدِّث عن رحيلي
آخر الأشياء عندي..
صرتُ أصهرُ في زواياه انفرادي
كلَّما قرَّبته وخلا بليلي صارني..
نقش الذين يُحبِّهم
في كلِّ جزءٍ منه "قال الله"...
غطَّوا ريبه بستارة الإحرامِ
غطَّوها بـ"قال الله"...
في نصف الصعودِ إلى السماءِ
رموا عليه غطاءهم
وغطَّوهم... نسجوه من سعة التظاهر...،
من تمسُّحهم على إطراقه فيهم

ومن هذر الدموع الشاعراتِ
يثرثرون بها كثيراً..

طالما غطّوه...،
حتى لاتنال بروقُ ريبتهِ
سذاجةَ قلبه الممضوغِ
في أشداقِ فتنتهم..

... ، هناك
وقبل أن يطوي الطريقُ
لسانه الممدودَ هزءاً
بحّ صوتُ البردِ في أطرافهم
فاستجوبتهم رعدةُ المعراجِ..
وخزُ البرقِ يُرعبُ حين يرمشُ
هل يُحذِرُ ؟

ربما... ، ...!!
من جيبه المستورِ في أعماقهم
جاؤا برائحة الثُّقابِ
وأشعلوا طرَفَ الغطاءاتِ/
الخواءِ وغادروا.

حفلة

جاءت الليلة المخملية...،
تحمل زينتها في يديها
وتركضُ صاحبةً صوب هودجنا..
لم نكن غير برقين...،
حين دنتُ
شربتنا كؤوساً ملوَّنةً
بنقاء ملائكة شعراء..
يحطُّون حيث تشيّد القصيدةُ

خيمتها..
رقصت...،
فبدأنا مراسيم حفلتنا..
ارتجفت...،...،
فوقعنا بألواننا
وغسلنا الغبارَ
الذي راكمته يدُ الذكريات.
مطرٌ ساخنٌ كلعاب الدسائس

يرصد إغفائي
فأشغلي بي ولو بعض رؤياك
حين أنام وأحلام نافلتني
في مهبّ الذئاب..

سيرة الذئاب

غسلتُ يدي

كثيرون

نَجعلُ جدرانَهم مأمناً
نتفياً فيه من الخوفِ والصمتِ
حين نقيلُ في مترسٍ للعناقِ الطويلِ
فتنمو دوائرهم كالزوابعِ
تشرخُ إيماننا بالظلالِ
وتدفنه جثَّةٌ تحت جدرانهم..

كثيرون

سَجَلْتُ أسماءهم في يدي
وضممتُ ليقبوا...،
فلم يبقَ إلا القليلُ من الحبرِ
ثم غسَلْتُ يدي عندما جَعْتُ
فاستأذنتُ من سجلي القديم بقيَّاتهم..

كثيرون

في ربط القاتِ...،
في الابتساماتِ

حين تسخر كُلفتها للمقاييل
يلتهمون الضباب الرفيع
فتتعب أرواحهم قبل أفواههم
ومع القات...،
في آخر اليوم
،

كثيرون
حين تلوذُ بهم
يتزأبقُ ما تحت أوزانهم
فيروغون..
صوتُ أصابعهم كرصاصِ المكائدِ
حين يشيرون صوب عيون البراءة..
إطراؤهم من رذاذ الكلام الذي
يتقنون التَخْفِيَ فيه...،
يجفُّ سريعاً وتخلفه بصقةٌ لا تجف..

كثيرون
منذ سكنت المدينة
يا "شجر الأصدقاء"

أفاقوا على غفلة الاحتياج إليهم
وجاؤا إليك... ،

يخيطون صحبتهم في عروقتك..
لا دم إلا الأئين من الوخر
يغشاك عند تطفلهم..

هم كثيرون
من مرقوا من شغاف المودة
يستعرضون هويتها... ،
تحت ظلك يساقطون... ،
يجفون...،
يعدو الزمان بهم كالرياح العجول
وتبزغ ثانية لجمالك
يا ألق الأصدقاء.

في مهب الذناب

إخوتي عصبه
كلما اتخذوا جانباً...
تتقلب في فجوة الكهف ألوانهم
لم يعوا كم قضوا في أسرّتهم
يرحلون على كاهلي..
كلبهم لم ينم
كان يُحصي تهامس أفواههم
فتزید هويّاتهم ودياناتهم،
بينما كان يحسبهم كأصابع أطرافه
أو أقلّ قليلاً..
تسلّى بطفرة رقدتهم...،
كلما امتشقوا في المنام سيوف تأمرهم
قام يلحق أعناقهم، ويجزّ لحاهم
لئلا تعيق فراسته..

إخوة لم يكونوا سوى واحد
روّض النار في فمه فتقيأ أوزاره...،

كالجراد وهم حاصدٌ واحدٌ وفمٌ واحدٌ
يتأكل في شهوات المكائد..
حين احتفى باعتراقاته
أضرم الجوعَ في جوعه
لاكَ أعيادَ ميلاده
واحدًا..، واحدًا...،
إخوةٌ قبل أن يصنعوا سمَّهم جرَّبه
فناموا بلا قبلةٍ كي يريحوا ضمائرهم..

التوجسُ
شاخت متاعبه فانحنى خجلاً...،
حين يرفع أجفان صنعاء تنهره
وتوبخني : ما لخيـل ظنونك مسرجةٌ ؟
إنكم إخوةٌ !

لا تنامي...
ولو مضغت كركرات المصابيح "ألياننا"
ذئبُ يوسف مستيقظٌ
والعواءُ القديمُ يدندن في ميل عينيكِ
حين تغيبان في شركِ النوم..
لا تفزعي فالدماء لدى عاصر التوتِ

أصنافها وفصائلها..
ومئات الروائح عالقةً تتزاحم
في بزّي فتضيع معي...،
هكذا ظنّ أنفي الذي دهسته فراسنّه..

مطرٌ ساخنٌ كلعاب الدسائس
يرصد إغفائي
فاشغلي بي ولو بعضَ رؤياك
حين أنام وأحلام نافلتي
في مهبّ الذئاب..

يا حكايات صنعاء.. لا تنتهي
يا مصابيحها.. لا تنامي
...، هنا ولدٌ مرهقٌ
حملَ الله يقظته باكرًا...،
يوم إنجابه شدّ لحيتّه
وتولّى اختبار نباهته..
ولدٌ ساخرٌ
قبل أن يقطعوا جبل سرّته
كاد ينهك هاجسه ضحكاً لحماقة نرسيّس...،

لا توصدي دونه المرتقى..
أَنْ جمرته جاء يلثغه
بعد عشرين صائتةٍ شحذت قلبه...،
جعدت وجه أحلامه...،
عوّضت في تقاسيم طلعت
عُمرَ أسلافه الرّاحلين صغاراً..

لا تنامي
عوت ذنبه يتخثر بين أصابعها
وجع يتعلّب فيه فنّاك..
إذا طعنت... ،
جددت لون سيرتها و اقترافاتها
ذنبه...، كلما اكتظّ باردُها شهوةً
أزهرت مومياءاتها زينةً
و غلت في يديها كؤوس التراب..
هديتها جوقه الطعنات

تجيءُ بها كلّ عيدٍ لترقص مفرغةً ثلجها
في اشتياق الغريب/القريب
وملهبةً في مناه رفات أنوثتها..

كل هذا السكوت لمن تتربى مخالبه ؟
لم يعد ذهباً ،
منذ أن وأدت فضة المبتغى نفسها
في الخليط الذي ماؤه زائد..
التراب ستارة مسرحنا ،
ومصيرُ "أنا" كأحرفها
ذيلُ آخرها في أيادي البدايات ... ،
عودتنا كاتطلاقتنا
رحلة..سندبادُ أعاصيرها حفنةً من ترابٍ
يدُ الله حطَّت عليها
فكانت ... ، وكنا بها...،...،
تنتهي مشهداً مشهداً
كلما رسم الاعتراف بها
ضوءَ رضوانها قفلت تستريح..
لا تنامي.. فإنَّ الفتى
ما يزال بريشة لهفته
يستعيد المباد/المعاد ليفتل أحجية..
بعد أن أربكت صلصلات الحديد اعتقاداته...،
كم سرت فيه رعشتها
فأطاحت بأسنانه وبفيه
الذي أوشك العنكبوت يرتبه حانة..

والشوارع مطعونةً حوله بزحام
الإطارات والعربات
التي تتبرَّع للكادحين بأيامها... ،
رتبته... كبا حاسراً
تتدفَّق منه دماء الشوارع
والعابرين عليها..

أنا جائعٌ... لا تنامي
ولو زُرِعَ الخبزُ فوق الرصيفِ
يدُ الأشقياء تُكسِّره وتنام عليه بلا هاجسٍ
غير نيل عفونته يغمسون بها ظنِّي الآدمي
ويعترفون بإجحافهم ليس إلا...

لا تنامي..
وأنتِ تغطين أجزاء جسمكِ
لستُ غريباً...
دعي لي مساماً صغيراً أمرّ إليك
نبوءة ثديكِ تحتاج أن تتنفسَ جوعي،
ووجه دمي شاخصٌ دون جفنيكِ..
لا تهربي من أسونة ذنبي الذي لم أكن فيه

إلا فما يتأوّه أركى منابته..

لا تنامي بلا ولدٍ
فأمومة قلبك في عارضيّ ورأسي
حليبٌ نقيّ يغسلُ روحي
إذا راكمت هبةً العابرين تجاعيدهم..
أفيقي .. لينفخ هذا الغلام الترابيّ
في الأحجيات العقيمة شعراً بهياً
بهاء الفضاء الذي رفع الله عرشك فيه...،
دعي برزخ الليل ينشقّ
حين يذرّ الفتى في جبينك أعوامه
ويراكم عنك قرائينه..
إنّ حنّاءه يتماوج بالذكريات،
يدغدغه بحلاوتها
فاهمسي لحنانك كي يحتويه..
اطلقي للدعاء العنان ليكتنّ فيه

قفي بالرضا حائلاً
في وجوه الذناب التي أنتِ
آخر آمالها في الوصول إليه..

أَمِيطِي خِيوطَ التَّلَكُّوْ عَنْ مَقْلَتِيهِ
وَقُولِي لَهُ:

مَا تَزَالِ رَوَاكِ عَلَى سَالِكٍ
لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ سِوَى الْإِنْتِصَارِ.

عولمة

كي تُغَرِّد أنثى
رمادية الصوت والرغباتِ
تُرتِّب عرش توهُمها...،
تتغنى بسفك دمامتها
في وجوه البهاء...،
ترقِّه نشوتها
بحفيف القلوب التي تتساقط
موبوءةً بالخريف العضال..

كي تعولم فتنتها... ،
يتوسّع هاجسها للتعجرف..
تحلم....
أن يتلطّخ منقارها المعدني
بموت الشحارير...،
أن تختفي دندنات الطبيعة
تحت طلاء مخالبيها الحجرية...،
أن تتمزّق السنة الشعراء
التي ألهمتها عناء الغناء..

إذا رشقت بالخيال البعيد
طبول تهاوئها... ،
وخزت بتراقصها المتعجرفِ
عين البهاء الرصينة
مشتاقهً
أن يُنقَبَ برقعها المتكومن
أغنية الشمس
حين يُعولمها الله.

كان صوتُ المُغَنِّي ينام ويصحو
ونحن ندبُ على شفّتيه...،
يموتُ ويحيا ونحن بعيدان عن قبره
وقريبان من روحه..

سيرة المنتظر

قلبٌ مثقوب

لا أقدر أن أقرأ أسمائك في عينيك...،
فدعني أتمرّغ في صوفية نحرِك
أخلطُ أسمائك بالماء وبالنارِ
وبالحبر المكلومةُ نشوئهُ..
غسِلْ أطرافك في لون دمي
والعقْ سُكري الواجفَ منذ ولعتَ
بأوردتي..
أتذكّرُ هذي اللحظة وجه الليلِ
الأسمر...،
... ، لوّنه طيني
المنثورُ على بلّورك،
أتذكّرُ...إدما نك لحمي ودمي
وعبارة شعري
حين تبللها مابين شفاهك وشفاهي
أعمارٌ...كنا نسرقها
من عمرينا..
ما بال صلاتك تنقض ظهري
وكنانةِ طرفك
ترشق بالصمت تراتيلي

وأساطيرك ترعش في الصفرة
كالعائد من حضن الموت
بلا سبب..

هل تخلع جذعي
لو دليتُ إزاء صلاتك أوراقي؟
هل تسفك خضرة أبياتي
وندى قافيتي المشبوبة..

كنتُ أصلي ساعتها...،
لكني لم أرح نضج دواليك
وقد سفكتُ وجدك
في وجهي وسجاجيدي...
دهنت جدرانِي وسمائي فأضعتُ القبله..
هل أنسى؟!
يا لي...، ما أضعف إيماني بالنسيان
وما أسهل أن تجلد ذاكرتي قلبي فتعزّره..
أُسربل أجفانك دوني؟!
قلبك مثقوبٌ
يتسلّل حين أشاء إليه دخاني..
أحرقني في هامش ديرك

زدني لتزيدك رائحتي غبناً وشقاءً
ليس أمامك إلا أن تبكي...،
أو تبكي
لكنّ دموعك لن تغسل كفركَ
أو تُطفئ ذنبي.

المنتظر

كل ليلٍ ونحن نهىءُ مرقدَه
ونجفئُ إعياءنا ولزوجة آمالنا
بالتأمل فيه..

طباشيرُنا يتخيَّله... ،
يتفنَّن في سرد أجزائه
ثم يهوي زجاج رؤانا الشفيف
إلى سطح غرفتنا..
نتلامس...، ندنو...، ونـ... .. ،
يتآمر فينا/علينا اشتهاؤان:
أن تتراخى روائح أعضائنا...،
أن يقدر ذوق الطباشير أوصافه
أن...، ...، ...،

يا لذوق الطباشير
كم يتسلَّى بأطماعنا وبلذَّاتنا!
كم بلغنا بشهد مناه تلاصقتنا
فنكاد نصلي له..

كان يأكل أذيالنا كلما التفت
الخوف من غدنا...،
كان أقدر من أن يكوننا جسداً واحداً،
كان يسحبنا،
كان يدفعنا،
حين يمتص من بخرنا
ما يسدُّ به جوعه...،
ثم يفصلنا حالمين بغائبنا المنتظر.

كيف أنسى عيونَ الظلام
التي غلّفتنا بأحداقها نستحمُّ...،
نبرئ أدران أوجاعنا والتياغاتنا..
نتأمل...، نصبو...،
نشبُّ...،
نشيب فتصغر أعمارنا...،
نتقلّب في لَين الذكريات
فنصبح ماءً وملحاً...،
نُمرّغ في لغات الكتابة
أعدارنا واعتذاراتنا،
نستعيد الهدايا لنهديها،

ننذاكر طعم ولون فراشاتنا..
كان صوت المُنغّي ينام ويصحو
ونحن ندبُ على شفّتيه...،
يموت ويحيا ونحن بعيدان عن قبره
وقريبان من روحه..
كان ماء الظلام الصّموت يفقّمنا
وتراب الصباح يعفّرنا..

كيف أنسى؟!
الظلام المقلّم يملأ حافظتي،
وأثاث ارتعاشي المهشّم يقتات بي،
وهجوعي على وتر النار يأخذني
فأجوب عروق الحكايات..

لا ريش لي غير ثوب الكتابة
أرفل فيه فيوقعني...،
لا طرائد أجتازها
فأزّين ملمسها وفراءاتها بلظى غرفتي
لا جناحان أوقد نبطهما
فأعجل طي المدى وأنام بلا أحد..

لا سماء...،

أسود فيها قصائد أحجيتي

وابتداء المآل..

سأحرق ذاكرتي

وأذّر ترابي على هاجس العندليب

ليألف رائحتي المنتظر.